قناديل الصّمت

سنُدْلِجُ في عُنُقِ اللّيلِ الممتدِّ إلى أظلافِ البحرِ
ونشعلُ في بوّاباتِ النّفيِ مرايا الرّيحِ
ونكتبُ نحنُ المنسيّينَ نشيدَ العُرْيِ
في سهمِ الضّوْءِ على قنديلِ الصّمتْ

عَرّانا قيدُ السّلطانِ من النبضانِ
من الإنسانْ
عُراةً نمضي في أمشاجِ الرّملِ
سَنَعْرَى
في خاتمةِ القرن
وفي فاتحةِ الخزيِ
من الأزمانْ

* * *

لنا عتمةٌ من صليلِ المنافي
ستدلفُنا نحو نفيٍ جديدٍ
وتدلقُ كلُّ القناديلِ صمتَ انتظارِ الدروبِ في فِجاجِ
النزيفِ على صرخةٍ في شعابِ الشّتاتِ ونتركُ أرواحَنا
معلّقةً تحتِ عُرْيِ الغيومِ التي أطفأتْ ظلّها على أوّلِ
صمتِ الرّحيلِ لنرحلَ بينَ مرايا الغبارِ نكزُّ بأسنانِنا سطوَة
المنتهى من دروبٍ تَمدُّ إلى آخرِ البحرِ صوتَ الرحيلِ
فينكرُنا دَمُنا حين نغشى على حفنةٍ من نزيفِ الهواءِ الغريبِ
لنبنيَ منَ حجرِ الوقتِ غُرْبَتَنا زَيَّنَها سقطُ وقعِ الخُطى على
سُدَّةٍ من صهيلِ المواجعِ
تفتحُ كوّتَها حيثُ مَدَّ القتيلُ قامَتَهُ تحتَ ظلِّ الغبارِ تماماً
وننسى سحنةَ الموجِ تحتَ نصلِ المقاصلِ
شكلَ أسمائنا
وأحفادَنا
كيفَ غَنّتْ أُمَّهاتُنا لَنا حينَ كُنّا على شَفَى الموتِ أو
الوردِ نزحفُ
أو تغوصُ في رقصةِ التنانيرِ أحلامُنا
فنركضُ خلفَ الدُّخانِ إلى أوّلِ القمحِ حيثُ المداراتُ
سَلَّحَتْ عصافيرَها
بما اشتهتْهُ النِّساءُ من عَبَقِ الأرضِ أو حنوِّ الرجالِ
إلى المشتهى
من صعودِ المواويلِ في أوّلِ اللّيلِ نَرْحَلُ في حلّةٍ للرحيلِ
إلى
حالةِ المجتبى من بلادٍ تغوصُ بأقدامِها إلى ناحلِ الجرحِ
تدفعُنا نحو صمتٍ
جديدٍ يدحرجُ أهلي إلى آخرِ الدّربِ في الشِّعابِ البعيدةِ
حيثُ البحارُ

ـــــــــــمت والمنافي

[إلى محمود درويش في كواكب المشهد الأندلسيّ]

د. جمال الدين الخضور

لها شكلُ أحزانِنا التي لا تغيبُ
فتتركُنا كلُّ البلاد أو بعضُها في سرابِ
التَّأمُّلِ عند تخمِ المساءِ الذي نتركُ فيه البلادَ أو بعضَها
لِنَعْدُوَ فوقَ
أوهامِنا
لا شيء خلفَ مقاصلِنا غير بعضِ القبورِ أو حكايا
الوساوسِ عن أُمَّةٍ سوفَ
تركضُ تحت دبيبِ التوجّعِ تحبو فوق مرايا الرمادِ قابَ
أحلامِنا
لا شيءَ شطر الرحيلِ غير اللهاثِ وننسى أوَّلَ الأهلِ
وآخرَهم كيفَ يمضونَ
إلى صاعقِ البحرِ وليسَ في كفِّهِمْ غيرُ ملحِ الحصار
وآخرُ موَّالِ رُعْبٍ لَنَا نُبَلِّلُ
أوصالَهُ باكتمالِ صمتِ الأصابعِ
أهلُنا هَا هُنا
أهلُنا هَا هُنا عَفَّروا صوتَهم بالنشيدِ الأخيرِ وَخَبّوا في شعابِ
الصليلِ يسوقونَ أيّامَهُم في قارسِ الوقتِ من خريفِ
الرِّماحِ
فتهربُ منهم فصولُ البدايةِ
هَلَعُ الأرضِ
حينَ تحطُّ على تربتها دمعةُ أُمٍّ
تشقُّ ثيابَ المنافي لتفتحَ نافذةً في جدارِ الخرابِ السَّفورِ
أهلُنا هَا هُنا
شَيَّدوا للرُّكوعِ الحثيثِ غياهِبَ فوقَ مَنَافي اللُّغاتِ
إلى غيهبِ السلاطينِ فيهم
أهلُنا هَا هُنا
يمضغونَ تاريخَهمْ
حيثُ الدروبُ تهزُّ رحيلاً مديداً إلى جَبَّانةِ الوقتِ
يُعَلِّقونَ أقدامَهم في غابةٍ من رداءِ التسكّعِ خلفَ المنافي
فيتركُهم دَمُهم هاشلاً في النّعاسِ المؤبَّدِ هاموا على أنَّةٍ
للقناديلِ حطَّتْ هُزَالَ أضْوَائِها في كهوفِ جنازاتِ أَنْهَارِهِمْ
أَهْلُنا هَا هُنا
صَفَّقوا فوقَ زحفِ التفاصيلِ التي أرَّخَتْ لهجرتنا في
تشظّي النوارسِ نغسلُ أطفالَنا بما يتبقّى من غبَارِ المقاصلِ
تحتَ صمتِ الخيولِ البعيدِ وفوقَ ظلالِ الدّماء التي
أرَّخَتْ لبلادٍ لَوَّنَتْ عظمَها بالدخانِ لتهربَ في مِنْكَبٍ
لانكسارِ الرِّجال
نُعَلِّبُ أولادَنا بالبكاءِ الحنونِ لننسى مرايا التذكّر قابَ
احتضارِ الصهيلِ
فيعصفُ فينا التوجّعُ فَوقَ خليجِ التوجّعِ

تخبو نجومُ ربيعِ الحروبِ
رماحُ الحروبِ
ليطلعَ فينا خريفُ السَّلامِ على بارقٍ
من ضجيجِ المغولِ
يُوَزِّعُ أوقاتَنا في منافي الشَّمالِ
لكلِّ مقاصلُهُ بمقاسِ الورودِ يدبُّ بسنبكِهِ فوقَ حُزْنِ الصبايا
هَا هُنا أهلُنا الذَّاهبونَ إلى لُجَّةٍ من رصاصِ المغولِ
يعودونَ في وقتهم
تحت جَنْحِ الرَّمادِ على صهوةٍ من جفافِ العيونِ يقمِّطُهم
في نسيجِ القيودِ
حنينٌ يفضُّ عن نشوةِ الموتِ عُرْيَ المنافي
يُوَزِّعُهُمْ في دروبِ المنافي رعبُ التذكّرِ
تفتحُ كلُّ الأصابعِ شهوتَها
فيكسرُ العابرونَ شَهْوَتَهُمْ
يمدّونَ في صوتِنا جرعةً من صديدِ الشوارعِ
نفتحُ تاريخَ آبائِنا في الرحيلِ الأخيرِ
/أشدُّ مراثيَّ إلى نشوةٍ في السُّؤالِ
إلى لقمةٍ من بلادي التي هجرتها الصبايا وكلُّ الخيولِ
وَهَامَتْ على وجهها في مراثي القبائلِ كسرةَ خبزٍ من رمالِ
دياري أبلّلُ فيها عُرْيَ الشِّفاهِ أُناجي ملامِحَنا في مرايا
الدّخانِ
ادفعوا نحونا من بقايا البقايا بعضَ البقايا
بعضَ البقايا من غيومِ الصباحِ وقد هَدَّهُ صَوْتُنا في
الرحيلِ الأخيرِ ليبني على نعشِنا قلعةً مِنْ سلامِ المغولِ/
هَا هُنا أهلُنا كفَّنوا صوتَهم بما يتبقّى من ورودِ الحنين فناموا
على هيكلِ الصَّمتِ يعدّون قناديلَ أحزانِهم أهلُنا هَا هُنَا
دشرّوا أهلَنا
هَا هُنَا مَا لَنا

أنَّ هذي البلادَ لَنَا
تلكَ التي بَكَتْ على زِنْدَنا
وأنَّ أقاصي الشمالِ يهَادِنُ صمتَ الثلوجِ لَنَا
وأنَّ الأغاني التي عُلِّقَتْ في عيونِ الغيومِ لَنَا
وأنَّ ثغاءَ المساءِ
وماءَ الخليجِ يُصارِعُ وَهْجَ الدموعِ
وكلَّ الحليبِ
ووهجَ القبائلِ تحت جوعِ الجنوبِ
وكلَّ الجبالِ بأقصى المحيط... لَنَا
وحتى رمادُ القبائلِ في الأندلسِّ
وما بيننا

هَا هُنا مَا لَنَا
وحتّى دخانُ التنانيرِ
وأسوارُ عكَّا
وصمتُ المقاصلِ
ضوءُ القناديلِ يخبو على فجرِنا
لَنَا... لَنَا... لَنَا
لَنَا وَحْدَنَا
حيثُ حَطَّتْ حروفُ لغاتي
قَدَمَ الضَّادِ أوْ حُزْنَهُ
لَنَا... مَا... لَنَا
... مُتْرَعٌ بالتَّشظّي الحنونِ أنا
أعدُّ مداراتِ رُعبي
وأُشْرِعُ صمتَ المنافي
نَصْلَ السلاطينِ
غُبارَ المرايا

لَنا
رايةٌ
من موتِنا

سوريا ـ حمص